مخطوطة للبيان السياسي لم تنشر حتى الآن، تحمل
عنوان أحد ألف د (الحزب الشيوعي السوري - الملتقى السياسي).

[redacted]

- ١ -

(A) الاشتراكية ضرورة يجب أن توعى . الاشتراكية ليست حتمية .

لا شيء حتمي ، على الاطلاق . او : وحده محتوم الواقع .
وحده حتمي ما وقع . مالم يقع فهو غير محتوم .
متى يوجد شيء من الأشياء ؟ متى يقع واقع ؟
الجواب : حين تكتمل شروط الشيء المعني ، حين تكتمل
تعيّنات الواقع المعيّن .
مالم تكتمل فهو ليس .
اذا توفّرت ٩٩ ٪ من شروطه ، فهو عينه ليس بعد .
وهذا الواحد بالمئة المتبقي لكي يوجد الشيء ، يمكن
ان يكون حاسماً . بالأصح ، في حال توفّر الـ ٩٩ ٪ ، فإن
الصفر المتبقي هو هو الحاسم . عليه يتوقف وجود او
عدم وجود الشيء المعني .
وهذا الواحد بالمئة ، ما دمنا نحدد قضية العمل الانساني ،
يمكن ان يكون هو الوعي . .

وما قصدناه هو الوعي . يمكن أن نصفّر النسبة
واحد بالمئة أو ان نكبرها : هذا لا شأن له ، ليست
القضية عددية ، بل هي منطقية . ليس من شيء ، ووجود
بدون علّة كافية ، يقول لايبنتس وهيجل .
إن محاكمتنا موجهة ضد « الحتمية » الشهيرة . وهي محاكمة

صائبة وبدائية ايضاً .

إذا كان هذا الحجر موجوداً في هذا المكان عند سفح الجبل وهيجل يؤكد : إن الصفة «كاذبة» تافه، زائدة، وهي بالتالي إضعاف . إن علّة غير كافية ليست علّة .

إن محاكمتنا موجهة ضد «الحتمية» الشهيرة . وهي محاكمة صائبة وبدائية ايضاً ، أو عنصرية Elémentaire كما يقول الفرنسيون . عنصرها العقل . العلّة عقل: raison. هكذا الفرنسية ولغات غيرها .

هيجل «يستنتج» الوجود ، وجود شيء من الأشياء . إن وجود هذا الشيء نتيجة ، نتاج ، ناتج ، مُنتَج .

على هذه المفاهيم التي هي بالفرنسية effet ، produit ، conséquence ، réseltat

اللغة العربية تحيل على جذر واحد نَتَج . وهذا جيد شرط ان نعيه وان نستثمره .

إنه يقيم مبدأ «استقراء الواقع استنطاقه الواقع» ، مبدأ «عقل الكون كون العقل» .

إن استثماره لغوياً عربياً ليس استحلاباً من اللغة العربية . بل الانتقال من المنطق ، إلى الفلسفة ، إلى علم الكلام

هيجل يستنتج الوجود ، أي يعلن أنه ليس في المباشر ، الفوري ، البداهة ، ليس في جوهر ، أصل ،

إنه ناتج سيرورات، عمليات، تحولات.

ثمة شكلان للسيرورة الموضوعية: الطبيعة، فاعلية الانسان الذي اتخذ هدفاً، يقول لينين في خلاصة منطقه هيجل.

الكون كونان: «الطبيعة» و «العالم»

طبيعة: هذا ليس، ليس بعد، «عالم». إذا كنتم تقولون العالم وتعنون الطبيعة، فهذا تكرار لا فائدة منه، وإن ذهنكم، روحكم، عقلكم يجنح نحو الكوسموس، ويهيئنا إلى ما قبل علم الكلام الى ما قبل مفهوم الانسان. الطبيعة يلزمها بعد كثير من التعيّنات لكي تصير عالماً monde.

الأشياء من حولكم ليست طبيعة، بل هي «في أحسن حال» طبيعة محوّلة. الطاولة والكرسي والجدار والبيت والشوارع والسيارات والمصانع والمدن والحقول والأغنياء والأبقار وجميع الأنواع الأهلية، كل هذه الموضوعات - الأغراض، هي نتاج العمل الانساني، الصناعة البشرية، الاختراع. حتى «نصل» إلى «الطبيعة» مجرّدة، علينا ان ننظر إلى السماء والنجوم فوقه رؤوسنا ان «نفكّر» في الهواء الذي نتنفسه في الماء أصل جميع الأشياء حسب طاليس، في الضوء الذي بفضله نرى الأشياء لكننا لا نراه هو حسب علم الفيزياء في المدرسة. علينا

ان نفكر بالطبيعة المهدّدة اليوم. الطبيعة، للمعرفة، ليست غير المباشر. إنها مقولة فلسفية كبيرة، جبارة، متنوّعة العلاقات والاتجاهات والمعارضات، ولا سيما ثنائية العلاقات إزاء العمل وإزاء الروح، مع الرابطة بين الاثنين، العمل والروح.

التاريخ، تاريخ البشر، هو تاريخ إنتاجهم لوجودهم اجتماعياً. وجودهم منتَج، مجتمعهم منتَج، ناتج، نتاج. وجودهم أي حياتهم، عيشهم، بقاؤهم، طعامهم الخ، وعلاقاتهم كافة، مجتمعهم. البشر ينتجون وجودهم ومجتمعهم، دائما.

لستَ موجوداً بالبداهة الأصلية. ولستَ موجوداً لأن رجلاً وإمرأة مارسا فعل الحب. هذا عنصر لا أكثر. أنت موجود لأنك استهلكت كميات من الحليب والخبز واللحم والجبوب والخضار والألبسة والعناية المتنوعة. هذا كله إنتاج دائم واجتماعي.

الماء موجود. الفرات والعاصي والسّن موجود منذ آلاف السنين. مع ذلك على امتداد آلاف السنين ترى عطشى. وليس الحال اليوم إن الماء موجود، هاهو، ترونه أمامكم او على الخريطة بل الحال

الموجود فيه من عناصر لـ نرى هكذا، المهم مسألة نقاء الماء. مسألة التلوث، ومسألة المستقبل، قضية المجتمع.

اذن ليس الوجود من جهة والعدم من جهة أخرى، مطبين بحيدين مستقلين ميتين، بل المهم «الوجود والعدم» معاً في عالم التعيين. إذا لم يجاهد البشر ضد العدم فلم ينتكسون إلى العدم. «الله خلق العالم من العدم» أعطيت في الروح والفكر هذا المعنى: العدم مادّة العالم. «الوجود مادة وشكل» (أرسطو) هذا يعني المادّة وحدها هي عدم وجود.

المنطقة العربية منطقة معينة مناخياً وجغرافياً (منطقة نصف جافة، متوسطية) صير الأراضي الهامشية أو الحدّية في تاريخنا تكشف جدل الوجود والعدم، وحدة الضدين المفهومين. حين لا يكون هناك نضال «يومي»، اجتماعي، عام، ضد الجفاف، التصحّر، الخ، عندئذ الصحراء تتقدم، الوجود يتقلص.

اذن فكرة «الوجود» العربية السائدة فكرة باطلة، هامدة، تنوب عن فكرة الكون etre، وتلغي الثنائي المفهومي ممكن و واقع، تلغي

المفهومية والتاريخية، المنطقة والتاريخ.

الاشتراكية ليست «حتمية». الاشتراكية ضرورة يجب أن نوعى فعلياً. يمكن الآن ان تتحول البشرية نحو الاشتراكية ويمكن أن تسير نحو الفناء. إذا لم تسيطر البشرية على النتائج غير المباشرة، على النتائج الاجتماعية والطبيعية، لتأثيرها، عندئذ فالفناء هو المحتوم. إذا قامت حرب نووية، فالهلاك هو المؤكد، لا الاشتراكية. لقد وصلت البشرية إلى أكبر مفترق في تاريخها. إن نمو الانتاجية هو، وانكشف الآن أكثر من اي وقت مضى وبشكل مفاجئ عن أنه، نمو التدمير ايضاً، نمو قدرة الانسان على تدمير ذاته وعالمه. إن نظرية لا تتبنى: فإما ان تكون نظرية تقدم ونظام وحضارة وعالم من أجل تقدم ونظام وحضارة وعالم آخر، نظرية تاريخ من أجل تاريخ آخر، او نظرية «ما قبل تاريخ» من أجل تاريخ أحق، أو أن تكون نظرية الجنس البشري.

إما... أو: هكذا هو الخيار. وهو وحده يتفق مع التصور الجدلي المادياني للواقع والتاريخ، مع عشر اطروحات صحيحة عرّف بها ماركس والخاتمة مشروع «تحويل العالم». هذا المشروع أرهن اليوم مما كان في زمنهما.

الاشتراكية حركة تاريخية فعلية . وهذه الحركة الواقعية تنتمي للعصر الحاضر . الاشتراكية ليست ، لم تعد حلماً ، يوتوبياً ، مجرد حلم ومحض يوتوبيا .

الاشتراكية واقع موجود أمامنا ، نظام دنيوي تماماً ، نظام قائم في دنيا البشر وتاريخ العالم ، له ما له وعليه ما عليه .

الاتحاد السوفياتي ليس فردوساً . ولا الصين . ولا أي من البلدان الاشتراكية الأخرى أرثوذكسية ، إن كان لهذا التعبير معنى . ولا الأكثر انحرافاً عن الأرثوذكسية . * لا الاتحاد السوفياتي ولا ألبانيا ولا بولونيا . لا الصين ولا كمبوديا أو فيتنام أو كوبا أو اليمن الجنوبي او أنغولا ، وهكذا دواليك ، بدءاً من النموذج الأعلى وصولاً إلى أصغر واحدث بلد أعلن في إحدى القارات الثلاث اعتناقه الاشتراكية ومعارضته لاقتصاد السوق ، أو للملكية الخاصة الخ . في هذا المشروع الكبير - « تحويل العالم » الذي

أعلنه ماركس سنة ١٨٤٥، القضية تبدو في كثير من البلدان تأمين العيش للابين الأفواه المتزايدة.

الإشتراكية مجتمع «الكفاية والعدل»، حسب صيغة عبد الناصر. مبدئيًا، الرأسمالية مجتمع الكفاية لا العدل، والإشتراكية مبدئيًا تقوم على الركيزة الرأسمالية كنقيض لها. واقعيًا وعمليًا، إن الاشتراكية في القرن العشرين قامت بدون الكفاية، من أجل تأمين الكفاية والعدل. جميع الدول الاشتراكية واجهت قضية التنمية كقضية أولية.

هذه المسألة «أضيفت» إليها المسألة الديموغرافية في أواسط القرن العشرين والربع الثالث من القرن العشرين، ارتفعت وتيرة نمو السكان إلى ما بين ٢٪ و ٤٪ في بلدان العالم الثالث، والصين، بعد سقوط طويل، لجأت أخيرًا إلى تدابير جذرية لتخفيض هذه الوتائر: ولد واحد للاسرة الجديدة في المدينة وولدان في الريف، فقط. بعض الأسر تتخلص من الولد إذا كان بنتًا. بدلاً من ان يكون ميزان الولادات حسب الجنسين هو ٥١٪ للذكور و ٤٩٪ للبنات

- وهو الحالة الطبيعية - ، الميزان هو ٥٢ ٪ و ٤٧ ٪ ، وهذا يعني بلا اي جدال ممكن انتكاسا إلى قتل الأولاد لدى البعض ، لنقل ٤ ٪ من الأولاد . وهذا القتل يتم بطريقة من الطرق . ومن يطاله القانون يعاقب بطبيعة الحال ، لكن ليس للقانون والدولة والمجتمع قدرة إلغاء هذه الظاهرة . والصين مصرّة على منع انفجار الصين ، وعلى تأمين نمو حقيقي للاقتصاد والدخل والحياة لمليار من البشر الآن وصولاً لمليار وربع او مليار ونصف لاكثر بعد ربع قرن أو نصف قرن ، كسقف أخير . لقد نجحت الصين في سياستها هذه . وإن ظاهرة قتل البنات تحيلنا في القرن العشرين وفي بلد اشتراكي إلى ماضي البشرية. الماضي ليس ماضياً وحسب . والرزية تعيد ، في جوانب منها ، البداية .

لقد بدأت البشرية من قتل البشر وأكل لحومهم ، ومن قتل الأولاد . وإن تقدّمها تقدّم على ذلك .

انطلاقة التاريخ كان الانتقال من افتراس البشر إلى أسرهم واستعبادهم وتشغيلهم : البنان

عبد . التاريخ تاريخ العبودية . والعبودية تفوّقه كبير على ما قبلها .

الإشتراكية حركة راهنة . مئات الملايين من البشر منحازون للاشتراكية ، في الشمال والجنوب ، في الشرق والغرب .

لا أدري ما إذا كانت فروقه الدخل القومي للفرد من الناس تقدّر بـ ١ إلى ٥٠ أم بـ ١ إلى ١٠٠ بين بنغلاديش والولايات المتحدة ، بين مالي والسويد ، ولن أتوقّف عند محدودية هذا المفهوم والمصطلح (الدخل القومي للفرد) ، ولكن المعنيّ مُرْعِب على أي حال ، وقد تفاقم واستفحل في ربع القرن الأخير ، لا العكس .

داخل فرنسا ، مثلاً ، رغم كل التطور الاجتماعي والديمقراطي (بما فيه التضامن الاجتماعي) في نصف القرن الأخير ، ورغم النمو الجبّار للإنتاجية في الصناعة والزراعة الخ ، فإن الفروقه الطبقية الهامشية ما زالت كبيرة جداً ، وهذه الفروقه أكبر أيضاً في تسعة أعشار بلدان العالم الثالث ، وبكثير . التضخم النقدي وسيلة إفقار وإغناء

جبارة، تفعل فعلها بلا هوادة داخل بلدان بلا ديمقراطية، بلا حريات، بلا صراع طبقي شعبي حرّ وقانوني ضد النزيف الداخلي المربوط بآلية عالمية.

إن التفاؤل البورجوازي المبتذل الذي بشّر بالرفاه للجميع، تباعاً، بفضل نمو التقنية والعلوم، قد انكشف وينكشف كباطل كبير. لقد نمت «الانتاجية» عشرات المرات، بالمقارنة مع ما كانت عليه قبل نصف قرن او قرن. والفقر قائم في كل مكان.

توجد فعلاً وضعية علاقات انتاج، ملكية، توزيع، أي هذا ~~الشكل~~ المستوى الذي ركّزت عليه «الاشتراكية العلمية» نظرها...

في سنة ١٩١٧، بدأ مشروع «تحويل العالم». أعلن العمال الروس جمهورية السوفيات الكونية. إن ثلث البشرية ~~الحر~~ يعيش اليوم في ظل النظام الاشتراكي الموجود. خلافات كثيرة، اتجاهات مختلة إلى هذا الحد أو ذاك، «انحراف» التاريخ عن التوقع (توقع لينين ورفاقه، وتوقع ماركس وانجلز والبيان الشيوعي وحركة العمال البادئة منذ نيف وقرن)، المدّة أطول،

الواقع أكبر ، الخ ، الخ ، ولكن اولاً : هذا العالم الاشتراكي وهذه الحركة في العالم شيء جديد، لم يكن موجوداً في القرن الماضي .

الاشتراكية تنتمي لهذا العصر : هذا معناه النظام الاشتراكي لم يوجد في عصور سابقة. ولد المذهب الاشتراكي وُجد في عصور سابقة للعصر البرجوازي . رغم قِدم الفكرة . ثمة فرق بين فكرة اشتراكية و مذهب اشتراكي .

لد مصر القديمة ، ولد الصين او الهند ، ولد العرب ، ولد سواهم ، وُجد في تاريخهم حقبة اشتراكية او مذهب اشتراكي .

الأديان الكبرى مثلاً ، ولاسيما المسيحية أو الاسلام ، موقف قبول بالعالم الموجود ودعوة إلى تحسينه . وهذا أسجله لصالح هذه الاديان. إنه اعتراف بالدنيا يحفظ هو التاريخ .

إن إقامة الاشتراكية أو ما شابه شيء محال قبل ألف سنة أو ألفي سنه او حتى مئة سنه . نحن الآن في سنة ١٩٨٧ ، ولا أعتقد ان أحداً في الاتحاد السوفياتي او الصين

يعتقد أنهم بلغوا « المثل الأعلى » مهما خفضنا مدلول هذا المصطلح . إن الذين يعتقدون عندنا ان الاشتراكية او العدالة والحرية الخ كان يجب ان تتحقق منذ ١٤٠٠ سنة او ١٢٠٠ سنة ، يجب ان نقول لهم :

ما زال غيرنا بعيداً اليوم عن حلمكم مع افتراضنا صدقه . الاتحاد السوفياتي أسقط منذ عشرات السنين وانهى الطبقات والاقطاعية والرأسمالية والبرجوازية الخ وأقام مجتمعاً يختلف جذرياً عن الغرب الرأسمالي ، عدا عن الأنظمة السابقة والمزامنة في العالم ، ومع ذلك فالمسائل قائمة الآن ، وهي مسائل كبيرة . واذا ما توصل أحفادنا إلى عالم عدالة اجتماعية « نسبية » ، فإن ذلك سيكون نصراً كبيراً لهم ولتاريخ الانسان .

هذا في عداد بديهيات التصور المادي للتاريخ . إذا كان لمصطلح « المادية » معنى ، معنى ايجابي ، صحيح ، فهو هذا المعنى : الاعتراف بالواقع ، هذا الاعتراف الذي هو اصعب من « المعرفة » ، لكنه الشرط الأوّلي لكل معرفة حقة .

ما نريده شيئ وما يحصل شيئ آخر . هذا تعليم المادية على التاريخ . والاعتقاد بأن هذا ينطبق على

الماضي فقط ، او الاعتقاد بأن ((الاشتراكية العلمية))
تنقلنا بقفزة من اللاوعي إلى الوعي ، من عدم التطابق الى
التطابق بين النتائج والأهداف ، بين الوقوع والتوقع ، بين
الموضوعي والذاتي ، الخ ، اعتقاد باطل ، يحوّل الماركسية
إلى سحر ، وحركة العمال والشعوب إلى ابطال وملائكة
او إلى ملائكة . ابطال . هذا المفهوم الأخير متناقض .
فالملائكة ليسوا ابطالاً والابطال ليسوا ملائكة .

الماركسية تحقق قفزة ، لكن ليس من الصفر
إلى التمام ، من مطلق إلى مطلق . هذان المطلقان
عدم .

يريد النجار ان يصنع طاولة معينة ، يصمم
ويصنع فعلاً . النتيجة تطابق مع الهدف بنسبة ٩٩٪
او أكثر . إن تحويل العالم ليس صنع طاولة . إن تحويل
العالم هو اولاً تحويل العالم . المتعدّي يرتكز على اللازم .
العالم ذاتٌ . ليس خشب النجار أو جلد الحذّاء أو
المادة الصوتية في اذن بيتوفن . الواقع له منطقه ، منطقه
له منطقه الذات الثورية . الموضوعية هي الاعتراف بأن
الموضوع ذات Sujet ، الذاتوية تحط الموضوع
الى مادّة .

ثمة فرق بين النتيجة والهدف ، بين الموضوعي
والذاتي . البشر ينتجون وجودهم ، يصنعون تاريخهم ،
دائماً ، لكن ليس كما يريدون .

التصور المادي في التاريخ هو هذا التأكيد بمبنوده الثلاثة .

الماركسية اللينينية ألغت إنتاج الأشياء والوجود ، ألّدت صنع التاريخ ، ضخمت الوعي والحزب . ألغت مفاهيم ومسائل التموضع ، التوقعن ، التخورج ، التغرّب . هذا الإلغاء حسّي المادية التاريخية والمادية الجدلية .

بالحقيقة ، إنه مثالية ، ذاتوية ، إرادوية .

التاريخ جوهريًا ، ليس تاريخ الثورات الشعبية . في التاريخ ، ثمة فرق كبير بين الثورات - الانتفاضات والثورات - التحولات .

الثورة - التحول غير الثورة - الانتفاضة

الثورة - الانتفاضة هي انتفاضة او ثورة ملايين الناس ، الفقراء ، الكادحين ، الخ ، ضد الظلم والاستغلال ، من أجل العدالة ، وبدافع واقع لا يطاق او لم يعد يطاق . الانتفاضات الشعبية في تاريخ البشر تعدّ بالآلاف بعضها كبير جداً . لعل أول ثورة شعبية هي ثورة ملاحي مصر في عهد المملكة القديمة بعد بناء الأهرامات ، اي منذ اربعة آلاف عام . تاريخ الصين مليء بالثورات الفلاحية الشعبية ، الكبيرة والصغيرة ، المتكررة خلال ثلاثة آلاف سنة ، والتي لا مثيل لها من حيث العدد

والحجم في تاريخ الشعوب الأخرى. أشهر ثورات العبيد في الإمبراطورية روما ثورة اونوس (يونس؟) السوري الصقلي وثورة سبارتاكوس الذائعة الصيت. لنضف ثورة الزنج في العصر العباسي الأول وثورة توسان لوفرتور أواخر القرن الثامن عشر في سان دومنغو.

وهناك ايضاً عشرات الثورات التي قام بها الفلاحون الدقنان في شتى بلدان اوروبا ولنذكر بشكل خاص حرب الفلاحين الألمان (سنة ١٥٢٥) وثورة ستنكا رازين وثورة بوغاتشوف في روسيا (ق ١٧ و ١٨) وهناك الثورات البورجوازية الأربع او الخمس: الهولندية (١٦٠٠)، الانكليزية الاولى والثانية (ق ١٧) الأميركية، الفرنسية (١٧٨٩)، وثورات القرن التاسع عشر: اميركا الاسبانية، اليونان، الصرب، ثورة ١٨٣٠ (باريس، بروكسل، الخ)، ثورات ١٨٤٨ أو «ربيع الشعوب»، كومونة باريس ١٨٧١ الخ. وأخيراً ثورات القرن العشرين...

هذه هي الثورات الانتفاضات

الثورة - التحول هي الانتقال من حال إلى حال. حسب الدياللكتيك، في أبطء وأسرع اشكاله، التحول = قفزة، تغيّر الكيف، انقطاع في سلسلة التطوّر.

المثال الذي ذكرته هو تحوّل الماء (أو أي مادّة أخرى، مثلاً الحديد) من حالة فيزيائية إلى حالة فيزيائية أخرى. الحالات الفيزيائية ثلاث: صلب وسائل وغازي. الأجسام من حولنا صوالب وسوائل وغازات هذا حالها، حالتها، وضعيتها، شكلها. حين يقول بعضنا سوائل وغازات ويمتنعون عن كلمة «صوالب» ويقولون بدلاً عنها «أجسام صلبة» فهم يبقون دون المفهومية، دون المنطوقة، يبقون مع الصلب، ويعارضون «الحسّ»، إذن العالم يبقون في مستوى الادراك: فعلاً، الأجسام من حولي هي جميعاً أجسام صلبة. ولكي أصل إلى سائل يجب أن أذهب إلى المطبخ لأتناول ماء من البرّاد وإذا أردت الوصول الى غاز، يجب أن أفكر في الهواء الذي أتنفسه حالياً. العالم الفيزيائي يتخطى هذا المستوى، يخرقه، يتكلم عن ذرات، وعن ترتيب وعلاقات الخ، والفلسفة المفهومية تذكرني بأن الماء السائل وبخار الماء والثلج هم جميعاً ماء، H_2O. واذا ما قال لي أحد، بالمقابل، هذا هو الجوهري: H_2O، وهو واحد في الحالات الثلاث، يجب أن أردّ عليه فوراً: لا تبالغ، الحالات الثلاثة هي ايضاً جوهرية «تماماً» او لا شيء جوهري: كل الأشياء في النسبية، في التفاعل،

لكن مثال الماء الشرير هو بالضبط الميكانيك،
ميكانيك التحول. ميكانيك علم الحركة، منظومة الحركة،
دينامكيك الحركة. والحركة مفهوم بسيط جداً. هنا
نحن مع التحوّل كحركة. والحركة تؤشّر على
كم و كيف، نفصل القضية إلى كم وكيف،
نقيم المجرّدات المفهومية: الحركة، النقطة،
النقطة المقدية، علاقات القياس. تحول الماء الظاهر
يقودني إلى المستوى غير الظاهر، إلى
الكتيلات والتكاتل كتفسير للحالات.

لا التحوّل ستنفد في مجرّد الحركة، ولا
التاريخ البشري، تاريخ الوجود البشري، ستنفد
في التحول. ولا معنى للتحول بدون فكرة الحال او
الحالة état.

هذه الفكرة الأخيرة تضمّن فكرة ثبات،
استقرار. وهي تعطي لغوياً عند الأورو بيين فكرة
الدولة état. كما تعطي فكرة الستاتستيطيقا، منظومة
الحالة، او في ترجمتنا العربية المتداولة علم الاحصاء.

هذا العلم، الذي ادعوه منظومة الحالة، قائم
على لا على رفض (؟) المصادفة، بل على إعلان المصادفة،
العَرَض، هيمنة العرض، كونية العرض الخ، وعلى
كشف منظومة هذا العَرَض. بتعبير آخر، إنه اعتراف
جذري بالعشوائية وقوننة العشوائية. لنقل

أيضاً أنه « علم الزهر » . كلمة « الزهر » (زهر الطاولة) العربية أعطت le hasard ، المقولة الفلسفية العلمية السيدة : المصادفة . علم الزهر ، نظرية الحظوظ ، حساب الاحتمالات ، علم الستاتسطيقا ، علم باسكال وهايزنبرغ وديموقريط .

وشعار هذا العلم المادياني والميكانيكي الجبار وهو : قانونية الكبائر ترتكز على عشوائية الصغائر .

اي : اذا كانت هذا الجسم أو الكتلة ثابتاً وصامداً في مكانه ، فلأن الجسيمات او الكتلات (molecules) الملايين التي تتألف منها متحركة جداً ولذلك حركتها عشوائية ، متضاربة ، متحايدة . هي متحركة ، هو هامد ، ساكن ، جامد .

وفكرة القانون فكرة ثبات . هذا واضح عند هيجل ولينين (مملكة القانون الهادئة او ملكوت القوانين الهادئ) . ولذلك فإن الديالكتيك هو أساساً هدم بين جملة أمور تجاوز لفكرة القانون ، اي معرفة ما القانون والاعلان ان فكرة القانون ناقصة ، غير كافية ، وان فوقه جميع القوانين قانون (بالمفرد) ، لوغوس ...

لنقل : لهذا السبب ، كرهاً بالثبات ، هناك جيل « ماركسي » كبير أدار ظهره لفكرة القانون ، رفع لواء الصيرورة ضد الكون ، هيراقليط

ضد بارمنيد ، وكأن «القانون» (بالمفرد) ليس بالضبط موقف هيراقليط أولاً. عند هيراقليط ، الأسماء قوانين الطبيعة ، قوانين العالم ، الخ ، والمقام الأعلى عند هيراقليط هو لِ : الله ، اللوغوس ، الاسم ، القانون (بالمفرد).

التراث الماركسي المؤسف (ستالين) أشاع «الحاد هيراقليط» (؟) نشر بعشرات الملايين من النسخ قوله: العالم لم يخلقه أي إنسان ولا أي إله ، ستالين الذي نقل هذا القول من ملخص لينين لكتاب لاسال عن هيراقليط ، استغنى عن الشكل الآخر لهذا القول نفسه: العالم لم يخلقه أي من الآلهة. واستغنى بالتمام عن «الله ، اللوغوس ، الاسم ، القانون». إن القارئ إذا تحمّل عناء العودة إلى ملخص لينين ، لوجد فيه: الله Dieu بحرف اول كبير مقابل وضد اي إله aucun dieu بحرف اول صغير. لنقل: الله الهيراقليطي نافي الآلهة. كذلك

هيجل ((الفكرة المطلقة)) ضد فكرات ومخططات بعض علماء الطبيعة بصدد تطور الأنواع، حسب شرع مناز لانجاز في جدل الطبيعة. و« المفهوم » بمعنى هيجل كحادّ للمفاهيم بالمعنى العادي او الأرسطوطيلي.

مذهب هيجل هو مذهب الانسان والتاريخ، مذهب الصيرورة - التقدم والارتقاء (بخلاف هيراقليط!). الانسان غير الطبيعة - الكوسموس. تاريخه خط صاعد.

في كل ديالكتيك، الدائرة سيّدة. الديالكتيك الحديث - هيجل الذي، عدا عن اليونان، من شيء آخر - يضيف الخطة، التقدم، الصعود، تاريخ الانسان.

نظرية ستالين المعلنة استوعبت الانسان في الطبيعة، عمّمت التطوّر التقدمي الصاعد أزليًا على الطبيعة، شملت كل الأمور تحت جبروت كلمة développement

الرابحة ، واعتبرت الدائرة والدائرية والدوران ميتافيزيائية لا جدلية ، صوّرت الأمور وكأن هيراقليط ليس دورانياً بل هو صعودي ارتقائي... وهذا كله محال . محال من وجهة نظر المادياتية ومن وجهة نظر الديالكتيك . وهو يتعارض مع عشرات الأقوال لإنجلز وماركس ولينين على حد سواء.

لكن واقع ستالين الروحي غير نظريته المعلنة . ستالين يدعي استنباع علم المجتمع والسياسة من الطبيعة . بالحقيقة إنه يفعل العكس . ستالين يسقط الانسان وتاريخه سياسة وحزب البروليتاريا على الطبيعة وتاريخها . إنه «أوغسطيني طبيعي» وهذا تناقض في المعنى ، او «هيراقليطي - اوغسطيني» (تناقض ايضاً!)

الحزب الشيوعي السوري - المكتب السياسي

يرفع لواء هيراقليط ويجهل اوغسطين.

لكن لنأخذ بمخطط عن تاريخ الانسان: المشاعية البدائية، مجتمع الرق، المجتمع الاقطاعي، المجتمع البورجوازي الرأسمالي. هذه "فعلاً"، نماذج، أنماط، مثاليات كبيرة. لنترك جميع (التفاصيل)، ولنأخذ التاريخ والثورتين اللتين نحن بصددهما: الثورة - التحوّل والثورة - الانتفاضة. اي لنملك، بوعي، ملاك التجريد، لنقبض على الخط.

إن الانتقال من المشاعية الى النظام العبودي هو ثورة - تحوّل. كذلك الانتقال من النظام العبودي إلى النظام الاقطاعي. وهكذا دواليك.

الحزب الشيوعي السوداني - المكتب السياسي

إذا كان لكلمة ثورة او لكلمات قفزة استحقاقه، فهو هذا الاستحقاقه، وإذا كان لمثال الماء الذي ركب عليه ستالين فائدة بالنسبة لمعرفة التاريخ (تاريخ البشرية) فهو هذه الفائدة،

الانتقال من الشاعية إلى الهبودية، من ما قبل التاريخ إلى التاريخ، من الاعجية والبربرية الى الحضارة والمدنية، من القنص الى الانتاج بحصر المعنى، من الصيد والقطف إلى الزراعة والرعي، من قتل البشر وأكل لحومهم إلى أسرهم واستعبادهم وتشغيلهم.

الحزب الشيوعي السوري - المكتب السياسي

أخيراً ، لا ادري بماذا أنهي هذه الرحلة الطويلة .

لعل أفضل خاتمة من رجل يدرك ويعلن ، أنه يتكلم باسمه الشخصي ، رغم كثرة شواهده غير الثانوية أو الجانبية من أعلام الماركسية الثلاثة إنما يتكلم دوماً باسمه الشخصي ، ويعلن أنه حتى حين يقول إن هذه الطاولة موجودة او دمشق عاصمة سوريا او ماركس ألف كتاب رأس المال او لينين انحاز بعنف لبليخانوف ضد الماركسية السائدة ولا سيما الماركسية الثورية السائدة ، فهو يفصح عن رأيه الشخصي أولاً وأخيراً ، تاركاً للقارئ أن يقوم هو بواجبه الشخصي كقارئ ومفكر وعامل ، هي ما يلي :

لا يوجد ، بالنسبة للفكر العربي اليوم ، وللوعي العربي ، ولوعي كل إنسان في بلاد العرب جميعاً بلا استثناء ولا فرق ، سوى مسألتين عالميتين :

B

١- المسألة الماركسية

٢- المسألة الدينية

هاتان المسألتان عالميتان . المسألة

الدينية عند العرب هي أيضاً أو أساساً
المسألة الإسلامية.

مسألتان. هناك عندنا من يحب
«القضية» ولا يحب المسألة. بالنسبة لي،
لا توجد قضية جديرة إلا وهي أيضاً مسألة
ومشكلة ومعضلة، دوماً
كونهما عالميتين يفرض كونهما عربيتين. أكاد
أقول: لا فرق في ذلك.
إذا سُئلتُ ما هو نقطة الضعف في الحلات
العربية الفكرية والثقافية اليوم، وإذا فرضت عليّ
الإجابة بسطر واحد فأنا أقول: بُعدُها عن المسألتين
المذكورتين.

فالمسائل المطروحة بديل ثانوي أو مشتق
دوني أو شبه [illegible] تالٍ.

هكذا في حيثية المسألة الأولى المسائل
المساة التقدم، الاشتراكية، الحداثة، العقلانية، العلمية،
الليبرالية الخ.

هكذا في حيثية المسألة الثانية المسائل
المساة التراث، الثقافة، الحضارة.
والمسألة القومية، في نظري، التي

هي فوقه كل شئ ، مسألة الوحدة العربية ، هي ،
كمسألة وقضية ، حاصل المسألتين ، بالنسبة
للعمل الفكري المؤول ، يريد بعض المفكرين إغراقه 1166
الدين في الثقافة . هذا باطل كبير . الدين غير الثقافة
وغير الحضارة وغير القومية . الدين يدخل في تكوين
الطابع الثقافي القومي . يمكن أن أبين ايضاً ان التفريع
يتفوق مبدئياً مع ستالين ذاته الذي اهتم اهتماماً مشهوراً
بالأمة والقومية ، ويتفوق مع الماركسية وتراثها الجيد
مع الفكر الماركسي . إنه نوعاً ما بديهي . وبديهي ايضاً
أن الطابع الثقافي القومي يأتي ايضاً بالضبط من الوجود
المعيّن ، من الواقع والحياة ، من الانتاج وشروطه
الجغرافية - التاريخية . والدين من جهة لا يستنفد بتاتاً
في الثقافة والطابع القومي والشخصية القومية
والحضارة الدين إيمان وعقيدة . وإذ يغدو من البداية
وحتماً ، بحكم الدنيا الزمكانية دوماً ، إيديولوجية
وثقافة ، وتشريعاً بشرياً وإيجابياً فهو ((يؤوب))
كإيمان وكعقيدة في جملة كبيره متداخلة تفرض نفسها
على الوعي كوحدة لا تنفك . والعنصر الخالد في الاعتراض
هو الاعتراض على هذا الإغراق وهذا ((التشاكل)) ،
هذا الاعتراض يتخذ في التاريخ ألف شكل ، تتحده
جميعاً التثمين ، أي وعي عنصرها الاعتراض المعني
والمحدّد تماماً

وقد لا يكون بلا فائدة ان أتكلم عن المسيحية والعالم المسيحي وفكرة الكنيسة العُلْيا. إن المسيحي المؤمن والواعي دينه إنما يؤمن على نحو او آخر ان المسيحي الحقيقي وكل مسيحي حقيقي، إنما هو اثوذوكسي (العقيدة العليا، السنّة العليا والسنّة الأولى او السلف وكلاهما دوماً موضع خلاف. لكن بالضبط اذن يبقى صحى الحقيقة والحياة) وكاثوليكي (مسكونيّ، عالمي، كوني، الجامعة او الأمة المسيحية. امة المسيح، امة الله) وبروتستنتي (محتج، معترض). والوصف الثاني يتراوح في تاريخ الديانة بين أمّة البشرية، أمة آدم، المميّز في الخليقة والذي من التراب - فكرة الخلاص الكونية، من جهة وطائفة مسيحية بعينها تعتبر نفسها عضينة نوع المحاصرة بطوفان الوثنيين أو الكفار او الأمميين (الأمم غير المسيحية، الضالّة، البدائية، التي لم تبلغ الحقيقة، المدوّه، والتي تستحوذ الشفقة) و «المنشقين» و «الهراطقة» مع مكان ما داخل هذا المجموع لليهود والملحدين. هكذا عصر توما الاكويني وقشتالة وما قبله وما بعده الذي يمكن ان يستمرّ حتى زمن الـ Syllabus او «مختصر أغلاط من زمن» (١٨٦٦) او حتى ١٩٤٨ بل وحتى اليوم وغداً عند البعض او عند الكثيرين. لكن محالة

١١٦٧

شك فيه ان تحولاً ايجابياً متناقضاً بدأ منذ مئة عام، اشتد في القرن العشرين، وتحقق في الثلاثين سنه الأخيرة. اليوم كما أعتقد، إن المبدأ السائد في الكنيسة الكاثوليكية الرسمية ليس فقط في لاهوت التحرير او لاهوت التقدم او لاهوت الثورة هو - بمصطلحات او مفاهيم مسيحية - أن الخلاص هو لجميع البشر.

قد يعتقد القارئ ان مثل هذه الأمور لا شأن ولا قيمة لها فهي امور دينية وبعيدة عن العلم او قد يعتقد أنها مفيدة تكتيكياً، الخ أنا أعتقد أنه مخطئ بالتمام. هكذا أمور هامة، وحيوية، راهنة. وهي ذات أهمية حاسمة في مستوى نابض الروح والذهن والفكر والمعرفة، في مستوى الضمير والوعي. والمهم جداً ان يُشار الى أن الموقف الحالي في الكنيسة - وعند غالبية رجال الدين وغالبية شعب الايمان، على ما اعتقد - هو عودة إلى موقف الآباء الأوائل والكنيسة الأولى من فوق ركام العصور التي تقدّر ايجابياً ونقدياً. وبالمقابل، حتى لاهوت التحرير الثوري الأميركي اللاتيني، اذ يتبنى فكرة الثورة، فهو يعترف بالتقدم، بالعمل التقدّمي والبنائي الذي صنعه التاريخ

الحزب الشيوعي السوري
الحزب الشيوعي السوري

البشري الذي مثله وفيه الكنيسة المرئية،
المؤسسة الراعية والشعب الرعية.

وبالمقابل، اذا ما قرأنا كتاب الأب كونغار Congar وهو من «الرحيمين» او الوسطيين عن «الكنيسة الكاثوليكية وفرنسا الحديثة» فسنجد فيه سجلاً بأخطاء وجرائم الكنيسة، عبر التاريخ، مع إدانة جلية «لا ريب فيها» لكن فيها تحذيراً من تبسيطات.

نص مقدمة اليادس مرقص كتبه في

العام ١٩٨٧.

الحزب الشيوعي السوري - المكتب السياسي